(رسالة)

هل للحياة معنى؟ وهل نحن أحياء أو نتظاهر أننا كذلك؟ هل ما نعيشه ونقاسيه هو دورٌ مكتوب لكل منا ونحن لا نخرج عن النص أو هو صنيعة أيدينا؟ هل لنا الاختيار أو نسير على طريق مرسوم والنهاية معلومة وحتمية؟ هل كل ما سيحدث قد حدث؟ كرو اية كتبت وطبعت ولكن القارئ لم ينته من قراءتها بعد ولا يعلم النهاية مع أنها بين يديه أو نحن من نصنع أقدارنا أو نعتقد ذلك؟ هل تحدي القدر هو تنفيذ لمشيئة القدر؟ ألقي نظرة على المسدس الذي سأنهي به حياتي وأتحسس ملمسه البارد كالموت هو من سيقول الكلمة الأخيرة هل للموت رائحة؟ هل الموت فناء؟ أو بعد الموت أعود مرة أخرى في دور آخر؟ دائرة لا تنتهي ندور فيها من صورة إلى أخرى.. أمسك المسدس بيد تتعرق وأصوب فوهته إلى جبهتي وداعًا أيتها الحياة أو إلى لقاء قريب.. أضغط على الزناد ببطء ثم تك تك... لم أمت، الرصاصة لم تخرج.. أنفاسي تتصارع أعاود المحاولة طرقات على الباب لماذا أهتم بتلك الطرقات فلأمت واللعنة. على كل شيء.. لماذا في هذا التوقيت السينمائي تأتي تلك الطرقات؟ أضع المسدس جانبا و أتجه إلى الباب و أفتحه... لا أثر لأحد سوى إضاءة خافتة من مصباح بدأت إضاءته ترتعش، وكأنها تحاول البوح عن شيء ما وقبل أن أغلق الباب، أرى ورقة مطوية يتضوع منها رائحة الشر تمتد يدي المرتعشة إلى قدر على هيئة ورقة، أشعر بملمسها فأنتفض.. أنسحب بسرعة إلى الداخل.. هل أكمل عملي وأغادر المسرح و أنهي دوري؟ ولكنه الفضول، مكتوب بخط أحمر وكأنه الدم: لم يحن موعدك بعد. تقع الورقة من يدي.

تلك الكلمات محفورة في ذاكرتي، منقوشة على جدراني إنها آخر كلماته إلي... أعود بالزمن وأراني طفلا صغيرا يرتجف أمام أبيه والرعب يطل من عينيه، وهو ينظر بطرف خفي إلى جثة أمه بجانب المكتب وبجانبها تمثال لبوذا ملطخٌ بالدماء.. يضحك أبوه بجنون قائلا: لقد قتلها بوذا.. الجنون يسيطر على كلماته وحركاته.. تمتد يده إلى سطح المكتب ويمسك مسدسا ويوجهه إلى رأسي.. لحظات ثم يبعده قائلا: موعدك لم يحن بعد. ويفجر رأسه برصاصة قاتلة.. أعود إلى وعيي.. أنتفض.. أُمسك المسدس وأنفاسي تتصارع وأصوبه نحو رأسي وأضغط على الزناد وتك وأضغط مرة أخرى تك تك.. يبدو أنني ملعون بلعنة ما.. ليس هناك راحة دائما ما أعيش مأساة.. حتى قرار موتي مرتبط بقوة خفية لا أعلمها... هي التي سوف تحدد متى سأموت.. هناك رسالة أرسلها شخص ما.. ليس هناك موت إلا بموعد.. عندما تنتهي منك الحياة ألقي جسدي على الفراش لعلي أغرق في غيبوبة لا أقوم منها أبدا!

ألقيت القلم منشغلا بتلك الشخصية، وكمية الكآبة والياس التي تجريان في شرايينها مجرى الدم.. كيف أصنع من مداد الحبر ألمًا ووجعًا لا يوصف؟ لماذا لا أمنحه حياة أخرى ينعم بحنان الأم وعطف الأبوة وينشأ نشأة مستقيمة؟ ولكن هيهات أن تصنع قصة جيدة من الحياة الوردية.. لا بد من مأساة تحترق فيها الأحاسيس والمشاعر ومن رمادها تصبغ الشخصيات، فالحبر الأسود لا يرسم قوس قزح كما قال خطاط عراقي شهير لا يرسم، إلا حزنًا ووجوها خط الدهر بحروفه على ملامحها فأكسبها ألمًا ويأسًا وهزيمة.. لماذا أحزن عليه هكذا وكأنني أعرفه؟ وكأنه مني؟ ما هي إلا سطور كتبتها،

فأصبحت الكلمات لحمًا ودما ووجعا ألمسه بروحي.. سأدعه ينام الآن لعل النوم يمنحه بعض الراحة!

جرس الباب يرن.. خوفٌ مبهمٌ يقشعر له بدني.. أخطو ناحية الباب في صمت.. بصوت مرتعش أقول: من بالباب؟ الصمت هو الجواب.. أكرّر السؤال ولا مجيب.. لا مهرب من القدر.. أفتح الباب ببطء فيطالعني وجه مألوف وهو يصوب المسدس إليّ.. إنه هو بطل قصتي بملامحه الحادة وعينيه النافذة.. لم يتكلم ولكنه ضغط الزناد وكان هذا آخر عهدي بالدنيا!